التغريب والعولمة (دراسة ثقافية مقارنة) ـــــــ

## المقدمة:

الحمد لله الذي شرّفنا بالإسلام ديناً، والقرآن الكريم معجزة وظهيراً، والسنة الغرَّاء محجة ودليلاً، والصلاة والسلام على من اصطفاه الله لنا نبياً ورسولاً، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، أما بعد..

فإنه لما اتسعت رقعة الإسلام ووصل إلى أطراف مترامية في شرق البلاد وغربها؛ حتى تغلغل في قلب أوربا وبدأ النصارى يدخلون في الإسلام أفواجاً ضاق الكفار بذلك ذرعاً، فوجهوا حملاتهم العسكرية الصليبية نحو العالم الإسلامي؛ لعرقلة انتشار الإسلام من جهة، والسيطرة على ممتلكات المسلمين وإبعادهم عن دينهم من جهة أخرى، ولكنها باءت بالفشل. حينها قرروا تحويل المعركة مع المسلمين من غزو عسكري إلى غزو فكري؛ من أجل السيطرة على العالم الإسلامي بطريقة سلمية ناعمة؛ لا تكلّف خسائر مادية وبشرية كبيرة، ولا تلق ممانعة قوية أو عنيفة، واتخذوا لذلك أساليب متنوعة وطرائق متعددة، فكان من تلك الأساليب التي اخترعوها أسلوب التغريب، وأسلوب العولمة؛ سعياً منهم في محاولة طمس هوية الأمة الإسلامية، وسلخ المسلمين من دينهم وعقيدتهم ومبادئهم وقيمهم وعلومهم وتراثهم وثقافتهم.

وإذا كان التغريب يهدف إلى طبع المجتمع بالطابع الغربي وإعادة تشكيله في ضوء ثقافة الغرب وحضارته وقيمه، والعولمة تهدف إلى إذابة الهويات الدينية وإلغاء الخصوصيات الثقافية وذلك بفرض قبول جميع المناهج الغربية الوافدة سواء في السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو الثقافة تحت شعارات براقة كالمدنية والعصرانية والحداثة، بحيث تكون المجتمعات صورة مطابقة للمجتمعات الغربية، فيا ترى ما هو الفرق بين الأسلوبين؟! وما الذي يميز العولمة عن التغريب؟ من هنا جاءت فكرة هذا البحث الموسوم بـ (التغريب والعولمة دراسة ثقافية مقارنة) لتجلية أهم أوجه التشابه والاختلاف بين الأسلوبين، سائلة الله تعالى التوفيق والعون والسداد.

**أهمية البحث وأسباب اختياره:** تكمن أهمية البحث وأسباب اختياره في الآتي:

١- خطورة الغزو الفكري عامة، والتغريب والعولمة خاصة على الثقافات المحلية والخصوصيات الدينية.

٢- ندرة الدراسات الثقافية العلمية المتخصصة في موضوع التغريب وقلتها في موضوع العولمة.

٣- ضرورة المقارنة بين المصطلحات المتشابهة أو المتداخلة وإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما.

٤- الإجابة على تساؤل أثار جدلا في الأوساط العلمية الثقافية وهو: هل العولمة هي نفسها التغريب؟

التغريب والعولمة (دراسة ثقافية مقارنة) ـــــــ

٢- توثيق بيانات المرجع بذكر عنوانه، واسم المؤلف، ودار النشر، ومكانها، ورقم الطبعة، وتاريخها، ورقم الجزء والصفحة في أول مرة يرد ذكر المرجع، بالإضافة إلى ذكرها في قائمة المراجع.

٣- وضع النصوص بين قوسين ( ).

**الدراسات السابقة:**

رغم وجود بعض الأبحاث والدراسات المتعلقة بالتغريب، ووفرة الأبحاث والدراسات المتعلقة بالعولمة إلا أنه لا يكاد يوجد – بحسب استقراء الباحثة– أي دراسة تجمع بين الموضوعين في دراسة واحدة مقارنة تبين أوجه الاختلاف والاتفاق بينهما.

**خطة البحث:** انتظم البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

- المقدمة، وفيها أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وأسئلته، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

**المبحث الأول: التعريف بمصطلحات العنوان. وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف التغريب لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف العولمة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: المقارنة.

**المبحث الثاني: نشأة التغريب والعولمة. وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: نشأة التغريب.

المطلب الثاني: نشأة العولمة.

المطلب الثالث: المقارنة.

**المبحث الثالث: أهداف التغريب والعولمة. وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: أهداف التغريب.

المطلب الثاني: أهداف العولمة.

المطلب الثالث: المقارنة.

**المبحث الرابع: وسائل التغريب والعولمة. وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: وسائل التغريب.

المطلب الثاني: وسائل العولمة.

المطلب الثالث: المقارنة.

التغريب والعولمة (دراسة ثقافية مقارنة) ـــــــ

٤- تعريف الموسوعة الميسرة بأنه: (تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية)(٧)

٥- ما جاء في تعريف التغريب الثقافي بأنه: (وقوع ثقافة مجتمع ما تحت تأثير ثقافة غربية أقوى منها، عن طريق الاحتكاك الثقافي غير المتوازن بهدف إبعاد هذه الثقافة عن جذورها وتغيير أهم معالمها، فتصبح غربية عن أصولها الاجتماعية التي نشأت وتكونت فيها وميزت مجتمعها عن المجتمعات الأخرى، أو هو محاولة لإبعاد المجتمع عن ثقافته الأصلية وإرغامه بطرق غير مباشرة على قبول ثقافة غريبة عنه)(٨).

٦- حركة التغريب هي عبارة عن: (دعوى كاملة لها نظمها وأهدافها ودعائمها تخدمها مؤسسات كثيرة أهمها: التنصير ويسمونه التبشير والاستشراق)(٩).

٧- التغريب هو (حركة موجهة لصبغ الثقافة الإسلامية بصبغة غربية، وإخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص، واحتوائها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانها وتذوب فيما يسمى بالثقافة العالمية أو الفكر الأممي)(١٠).

٨- التغريب هو (حرب صليبية مستعرة الأوار، مجهودها الرئيسي موجه إلى تنصير العالم وخاصة العالم الإسلامي، وما يستتبع ذلك من عواقب خطيرة، أبسطها طمس الهوية وخلق مسخ من البشر بعد تدمير كيانها العقائدي والفكري، وتبديل نظم حياتها وأنماط سلوكياتها)(١١).

**من مجموع هذه التعريفات نستنتج أن التغريب:**

١- توجُّه منظم مدروس له مخططاته وأهدافه ودعائمه، يقف وراءه باحثون أكاديميون (مستشرقون)، ومنصّرون مناضلون، وسياسيون ناشطون.

٢- عملية عامة تشمل مجالات متعددة: سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية وغيرها.

٣- في بدايته كان عملية قسرية رافقت الحركات الاستعمارية، من أجل تضييق الهوَّة بين المستعمرين والمسلمين من أبناء المناطق المستعمَرة، وإضعاف الرابطة الدينية والقيم الحضارية التي توحد المسلمين، وليس هو مجرد احتكاك ثقافي طبيعي يتعامل معه الإنسان بانتقائية فيأخذ ما يناسبه ويترك ما لا يناسبه.

٤- يعمل لصالح الثقافة الأوربية الغربية على وجه التحديد؛ إذ يسعى إلى فرض النموذج (الأوربي) الغربي على المجتمعات المستهدَفة، وتعميم سماته الثقافية عليها.

التغريب والعولمة (دراسة ثقافية مقارنة) ـــــــ

القوميات وإضعاف فكرة السيادة الوطنية وصياغة ثقافة عالمية واحدة تضمحل إلى جوارها الخصوصيات الثقافية، والنمط السائد حاليا هو العولمة الأمريكية)[١٥].

٢- يعرفها إسماعيل صبري عبد الله[١٦] بأنها: (التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك، دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة، ودون حاجة لإجراءات حكومية)[١٧].

٣- يعرفها صادق جلال العظم[١٨] بأنها: (وصول الرأسمالية التاريخية عند منتصف القرن العشرين تقريبا إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل والتجارة والسوق والاستخراج إلى عالمية دائرة الانتاج وإعادة الإنتاج ذاتها، أي إلى حقبة ثالثة متميزة تنضاف إلى مرحلتي الاستعمار التجاري الأولى، ومرحلة الإمبريالية الكلاسيكية اللاحقة)[١٩]؛ فالرأسمال المركزي ينتقل من الاستثمار الكلاسيكي في المرافئ والمناجم والتعدين والمواصلات والعقارات والمواد الأولية والمواد الخام وأنواع من المنتجات الزراعية إلى الاستثمار في الصناعة وغيرها من المجالات الانتاجية المباشرة، وفيما تحتاجه هذه من تنظيمات وتوابع ومؤسسات مالية ومصرفية واتصالاتية وخدماتية ونحوها، إن العولمة تمثل (حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء، في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ)[٢٠].

٤- يعرفها حسن حنفي[٢١] بأنها: (تكتل اقتصادي للقوى العظمى للاستثمار بثروات العالم، مواده الأولية وأسواقه، على حساب الشعوب الفقيرة، واحتواء المركز للأطراف التي حاولت الفكاك منه في الخمسينيات والستينيات إبان حركة التحرر الوطني، ثم تعثرت في بناء الدولة الوطنية، فأراد المركز وراثتها من جديد تحت أشكال الهيمنة، وهي العولمة)[٢٢].

٥- يعرف محمد عابد الجابري[٢٣] العولمة في المجال السياسي بأنها: العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلدا بعينه، هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع. إنها أيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته[٢٤].

٦- يعرفها برهان غليون[٢٥]بأنها: (دينامية جديدة تبرز داخل دائرة العلاقات الدولية من خلال درجة عالية من الكثافة والسرعة في عملية انتشار المعلومات والمكتسبات التقنية والعلمية للحضارة، يتزايد فيها دور العامل الخارجي في تحديد مصير الأطراف الوطنية المكونة لهذه الدائرة المندمجة وبالتالي هوامشها أيضا، ليصبح مصير الإنسانية في ظل تلك الثورة المعلوماتية والتقنية والاقتصادية موحداً أو نازعاً في التوحيد)[٢٦].

٧- عرفها الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بأنها: (فرض هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية من الولايات المتحدة الأمريكية على العالم، وخصوصا عالم الشرق والعالم الثالث، وبالأخص العالم الإسلامي، مستغلة تفوقها العلمي والتكنولوجي، وقدراتها العسكرية الهائلة، وإمكانياتها الاقتصادية، مستندة إلى نظرتها الاستعلائية التي ترى فيها نفسها أنها سيدة العالم)[٢٧].

٨- وتعرف العولمة أيضاً: (استحداث نظام عالمي جديد يكون أحادي القطب، تدور في فلكه كافة دول العالم، ويسيطر اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً وعسكرياً، وتمثل الولايات المتحدة فيه قلب الرحى)[٢٨].

**من مجموع التعريفات السابقة نستنتج أن العولمة:**

١- مرحلة جديدة ومتطورة من مراحل الرأسمالية؛ تعتمد على عاملي السرعة والكثافة في تدفق السلع والخدمات والمعلومات بين الأمم، والانتقال من عالمية السوق والتبادل التجاري إلى عالمية الإنتاج وتبادل الإنتاج.

٢- عملية تبادلية غير متكافئة بين الدول؛ فهي تعمل في ظل هيمنة دول المركز وتحت سيطرتها وتصب أغلب المبادلات في صالحها.

٣- ترفض النسبية الثقافية وترفض التسامح مع التميزات الثقافية التي تصنع الاستقلال الحضاري؛ وتعمل على تجاوز الحدود السياسية، وإضعاف السيادات الوطنية، وإحلال ثقافة عالمية واحدة محل الثقافات المحلية الخاصة.

٤- صورة جديدة من صور الاستعمار واستغلال خيرات وثروات الدول لا سيما دول العالم الثالث، وبالأخص دول العالم الإسلامي.

٥- وسيلة من وسائل فرض الهيمنة الأمريكية تحديداً على العالم أجمع؛ مستغلة في ذلك تقدمها العلمي والتقني وتطورها العسكري وتفوقها الاقتصادي، لذا فإنها تعتبر الاسم الحركي للأمركة كما يرى البعض.

٦- هي عولمة اقتصادية في المقام الأول مما يدل على ذلك آلياتها وأدوات اشتغالها، ولكنها لم تقتصر على هذا فحسب بل أقحمت نفسها في كافة المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية.

## المطلب الثالث: المقارنة

بعد المقارنة بين تعريف كل من التغريب والعولمة يتبين الآتي:

**أ- أوجه الاتفاق:**

التغريب والعولمة (دراسة ثقافية مقارنة) ـــــــ

التغريب والعولمة (دراسة ثقافية مقارنة) ـــــــ

السفن الكبيرة وتحسين البوصلة التي جعلت السفر إلى الأماكن البعيدة أمرا ممكنا في بسط أوربا لنفوذها وهيمنتها على العالم، وربط الكرة الأرضية شرقها بغربها وشمالها بجنوبها، كما ساهمت هذه التطورات في تعزيز دور الرأسمالية التجارية في الحياة الاقتصادية الأوربية؛ حيث انتقلت خيرات المستعمرَات الجديدة إلى الدول الاستعمارية، وتزايدت المبادلات التجارية في هذه المرحلة، فانتقلت بذلك الرأسمالية إلى مرحلة أخرى وهي **الرأسمالية الصناعية**، والتي ظهرت في القرن الثامن عشر الميلادي تقريبا، وهي المرحلة التي تمكنت فيها الدول الأوربية نتيجة الثروات الضخمة التي حصلت عليها من الدول المستعمرة من إنتاج السلع على نطاق واسع، فبرزت الحاجة إلى وجود أسواق لتصريف هذه السلع، وإلى الحصول على متطلبات الصناعة الجديدة. وهذه الثورة الصناعية أدت إلى تغيير في شكل تقسيم العمل الدولي؛ حيث تخصصت الدول الرأسمالية في صناعة المواد الاستهلاكية والرأسمالية، واختصت بلدان الأطراف التابعة في إنتاج المواد الزراعية والصناعات الاستخراجية التي تتطلبها دول المركز. واتبعت الدول الرأسمالية في فرض هذا التقسيم من العمل الدولي الأسلوب العسكري أحيانا والأسلوب الثقافي بتوظيف برامج التعليم وقنوات الإعلام في صياغة جيل مطبوع بالتقدم الغربي في ميادين الإنتاج والاستهلاك والترف. ثم انتقلت الرأسمالية بعد ذلك إلى المرحلة الثالثة وهي **الرأسمالية الإنتاجية** نتيجة التقدم التكنولوجي والتقني تم الانتقال التدريجي والمتسارع لأنواع معينة من الصناعات من الدول الرأسمالية إلى الدول التابعة، وهذه الصناعات هي الصناعات الكثيفة العمل كالمنسوجات والملابس والأحذية وبعض المكائن الخفيفة، والصناعات التي تحتاج إلى طاقة أو أنها ملوثة للبيئة، مثل صناعة الحديد والسفن والبتروكيمياويات، وقد يتم تجزيء العملية الصناعية الانتاجية وتوزيعها على مناطق جغرافية متباعدة مع بقاء إمكانية السيطرة والتوجيه في مراكز القيادة في البلاد الرأسمالية بفضل الله ثم بفضل التطور الهائل في وسائل الاتصال وظهور الشركات المتعددة الجنسيات وبدء عمل منظمة التجارة الدولية في إزالة الحواجز والقيود الفاصلة بين الدول، والضغط على الحكومات من أجل التنازل عن سيادتها وفقا لإرادتها وتحرير خروج ودخول الأموال بينها[٣٢]. لقد ارتبطت فكرة العولمة بهذه المرحلة الأخيرة من مراحل الرأسمالية؛ ذلك أن الطفرة التكنولوجية في الاتصال والإعلام قد ألغت الحواجز وأزالت الحدود بين الدول، وضاعفت من عمليات تدفق المعلومات والأفكار إلى جانب تدفق السلع والخدمات.

## المطلب الثالث: المقارنة

بعد تتبع نشأة كل من التغريب والعولمة يتبين الآتي:

١- أن ظاهرة التغريب أصبحت ضيقة ومحدودة بشكل نسبي؛ فبعد الحرب العالمية الثانية شهد العالم تطورا سريعا في وسائل الإعلام وأجهزة الاتصال مما أدى إلى إحداث تغييرات ثقافية واجتماعية واسعة وسريعة متجهة نحو نظام عالمي جديد، ولم يعد التغريب يتسع لاستيعاب تلك التغيرات مما أدى إلى ظهور حركة جديدة حلت محله وهي العولمة.

٢- أن التغريب ظاهرة كلاسيكية قديمة تكاملت عناصرها وتجلت آثارها وتحددت أبعادها وأهدافها، بينما العولمة عملية ديناميكية متغيرة بشكل مستمر لازالت تنمو وتتطور وتدخل فيها عناصر جديدة، فلم تقف عند حد حتى الآن، وفي كل مرحلة من المراحل تتخذ أبعادا وملامح جديدة.

٣- أن التغريب كان في ظل وجود الدولة القومية والمؤسسات السياسية، بينما العولمة تدعو إلى العمل في ظل دولة بدون حدود وطنية أو قومية.

٤- أن التغريب هو اختراق للهوية بواسطة الحملات العسكرية، بينما العولمة هي اختراق للهوية بواسطة الوسائل التكنولوجية الحديثة.

٥- أن الحملات التغريبية كانت تقف وراءها الدول الأوربية منذ القرن السابع عشر الميلادي تقريبا وحتى الحرب العالمية الثانية، ثم بعدها تحولت الزعامة ومحاولة الهيمنة والسيطرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

٦- أن التغريب والعولمة يقومان على أيديولوجيا تعبر عن إرادة الهيمنة وإحكام السيطرة على الدول المستهدفة.

٧- أن العولمة بالنسبة للعالم الإسلامي تمثل الوجه الجديد للتغريب، فهي مصطلح حديث يشير إلى ظاهرة قديمة ذات جذور فلسفية مادية، وأن عامل تدويلها وإعطائها نفسا عولميا هو الذي أضفى عليها طابع الجدة، ومنحها قدرة إضافية على النفاذ والتأثير.

## المبحث الثالث: أهداف التغريب والعولمة

### المطلب الأول: أهداف التغريب

لم يكن الهدف من التغريب هو تطوير البلدان المستعمرة والمساهمة في تقدمها وبناء نهضتها كما روج الغرب لذلك، بل إن الهدف من ذلك هو عدة أمور(٣٣):

١- نقض عرى الإسلام وإبعاد المسلمين عن دينهم وقطع صلتهم بمصادرهم، بالطعن والتشويه فيها حينا وإثارة الشبهات حولها أحيانا أخرى.

٢- حراسة مصالح الاستعمار وذلك بإلغاء الحواجز التي تقوم بينه وبين الدول المستعمَرة من الدين واللغة والقيم والأنظمة والتقاليد والأعراف، من أجل تقريب الهوّة التي تفصل بين المسلمين وبين غيرهم من المستعمرين.

٣- تفتيت الوحدة الإسلامية، وإضعاف الرابطة الدينية عن طريق إحياء القوميات وإثارة النعرات والخلافات.

٤- تنشئة جيل من أبناء المسلمين وتربيتهم تربية عصرية تقربهم من الغرب في سلوكهم وطرق تفكيرهم، ليكونوا أدوات للمستعمر في إدارة شؤون البلاد ونشر الحضارة الغربية وخدمة أهدافهم.

٥- إقصاء أنظمة الحكم والإدارة والتعليم المستمدة من الإسلام وإحلال الأنظمة الغربية مكانها.

٦- تطوير الإسلام -على حد زعمهم- بإعادة صياغته وتفسيره؛ بحيث يبدو متفقاً مع الحضارة الغربية أو غير متعارض معها على الأقل.

٧- القضاء على الثقافة الإسلامية الأصيلة بإدخال عناصر غريبة عليها؛ لتحويلها من طبيعتها على نحو يقضي على تميزها الخاص ويجعلها قريبة من الثقافة الغربية.

## المطلب الثاني: أهداف العولمة

اختلفت المواقف وتعددت الآراء حول ظاهرة العولمة؛ ما بين مؤيدين متحمسين ورافضين مستائين، وبناء على هذا اختلفت أهداف العولمة من زاوية نظرهم؛ فالمؤيدون يرون بأنها عملية تعاونية وتعكس نتائج إيجابية، بينما المعارضون يرون بأنها عملية استغلالية وتعكس نتائج سلبية. لذا فإننا سنحاول استعراض أهداف العولمة كما يراها كلا الفريقين.

### أولا: أهداف العولمة كما يراها مؤيدوها والمتحمسون لها[٣٤]:

١- إقامة سوق عالمي مفتوح يستوعب المؤسسات والشركات والأفراد جميعا، بدون حواجز أو فواصل جمركية أو إدارية، مما يؤدي إلى التقارب وزيادة حجم التجارة وحدوث الانتعاش الاقتصادي العالمي.

٢- التعاون الوثيق بين دول العالم في تحقيق الأمن الجماعي والتصدي لأي خطر يهدد الاستقرار والأمن العالمي العام.

٣- التركيز على الهوية العالمية ونبذ فوارق الأجناس والقوميات بحيث يتم التقارب والانسجام.

التغريب والعولمة (دراسة ثقافية مقارنة) ـــــــ

١- أنهما يشتركان في الهدف الأساس الذي يسعى كل منهما إليه وهو فرض الهيمنة وتعميق التبعية، ومحاولة إعادة صياغة ثقافة الدول المستهدَفة في ظل ثقافة الدول المستهدِفة والعمل على دمجها وطمس معالمها.

٢- أن هناك شبه اتفاق من الباحثين والكتّاب على أن التغريب ظاهرة سلبية تعكس أضرارا كبيرة على المجتمعات الإسلامية والثقافة المحلية، بينما العولمة ظاهرة اختلفت حولها وجهات نظر الباحثين؛ فهناك من يثني عليها ويعدها شيئا إيجابيا يصب في صالح الشعوب والدول، وهناك من يذمها ويعدها شيئا سلبيا ضد مصالح الشعوب والدول.

٣- أن عملية التغريب تتركز جلّ أهدافها على العالم الإسلامي، بينما العولمة تطمح إلى تحقيق أهدافها في العالم أجمع.

## المبحث الرابع: وسائل التغريب والعولمة

### المطلب الأول: وسائل التغريب

اتخذ التغريب لتحقيق أهدافه عدة وسائل من أهمها ما يلي[٣٦]:

**١- التنصير:** حيث هدف المنصِّرون إلى إبعاد المسلمين عن دينهم وبناء عقلية تحتقر كل مقومات الفكر الإسلامي، وتنحية العناصر التي تمثل الإسلام عن مراكز التوجيه، لذلك قاموا ببناء الكنائس والمستشفيات والمدارس والجامعات الأجنبية التابعة للإرساليات التبشيرية، والتي من شأنها تعمل على تغيير المفاهيم الأساسية لدى المسلمين، ومحاولة دمج الشعوب الإسلامية في الثقافة الغربية.

**٢- الاستشراق:** اعتمد دعاة التغريب على الاستشراق اعتمادا كبيرا؛ حيث عمل المستشرقون على جمع المعلومات عن الشرق الإسلامي ودراسة كل ما يتعلق به، ثم العمل على تشويه صورته وبث الدعايات الكاذبة حوله لتنفير المسلمين منه؛ فظهرت مقولات تشكك في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وأخرى تنتقص من اللغة العربية، وأخرى تهاجم التراث الإسلامي، وأخرى تطعن في التاريخ. فقد كان المستشرقون يعملون على إقناع المسلمين بمسألة التفوق الحضاري الغربي والذي يقابله العجز والتخلف الشرقي، وأن السبيل الوحيد للتقدم والنهضة هو محاكاة الغرب في كل شيء والتنكّر لثقافتهم الأصلية التي ينتمون إليها.

**٣- القومية:** عمد دعاة التغريب إلى إضعاف الرابطة الدينية القائمة على العقيدة الإسلامية الصحيحة، ومحاولة تفتيت كيان الأمة وتمزيق وحدتها وبعثرة طاقاتها من خلال إثارة الدعوات القومية التي تقوم على رابطة جغرافية والعصبية لها، والتي ارتبط دخولها إلى العالم الإسلامي ببعض الجمعيات مثل جمعية

الاتحاد والترقي وجمعية تركيا الفتاة، حتى صارت كل جماعة تدعو إلى بعث قوميتها بدلا من التوحد حول العقيدة، فظهرت الدعوة إلى القومية العربية، والكردية، والطورانية، والفينيقية، والآشورية، والبابلية وغيرها.

**٤- العَلمانية:** تعد من الوسائل الهامة التي استخدمت لتغريب المسلمين، وذلك بالعمل على إقناع المسلمين بأن أحكام الإسلام غير صالحة لهذه الحياة، وأن الإسلام ما هو إلا مجرد شعائر تعبدية لم تعد قادرة على استيعاب ومواكبة حياة المسلمين الاجتماعية لذا لا بد من عزله في طقوس معينة، وفصله عن مجالات الحياة المختلفة، وقد عملوا على نشر فكرة العلمانية واستغلالها في تغريب المسلمين من خلال التعليم والإعلام والقانون؛ ففي التعليم حرص دعاة التغريب بحجة نشر العلم والتهذيب إلى إنشاء مدارس مدنية تركز على العلوم الكونية والإنسانية وتهمل العلوم الإسلامية، بالإضافة إلى إنشاء المدارس التبشيرية والجامعات الأجنبية في البلدان الإسلامية وكان لهذه المدارس الأثر الكبير في تشويه كثير من الحقائق الإسلامية في عقول الأجيال التي تعلمت في تلك المدارس، وزعزعة اليقين بنظم الإسلام ومبادئه القويمة، حتى افتتنوا بالغرب وحسبوا أن النهضة تكمن في تقليدهم. أما بالنسبة للإعلام فقد وظف دعاة التغريب كذلك وسائله المختلفة؛ المرئية والمسموعة والمقروءة في تشويه صورة الإسلام وبث معلومات مغلوطة عنه من جهة، وفي إشاعة الرذيلة والإغراء بالجريمة ونشر الفاحشة من جهة أخرى، مما يؤدي بدوره إلى هدم العقيدة وتحطيم الأخلاق والفضيلة. وأما بالنسبة للقانون فقد تم التدرج في ذلك من خلال العمل على تنحية الحكم بالشريعة الإسلامية واستبدالها بالقوانين الوضعية.

**٥- البعثات العلمية:** شجع دعاة التغريب شباب المسلمين الذين لم تترسخ ثقافتهم وتكتمل ملامح شخصيتهم الإسلامية على السفر للبلاد الأجنبية للدراسة من أجل تنشئتهم تنشئة غربية وإضعاف صلتهم بالدين، وهذا ما صرح به المندوب البريطاني في مصر قائلا: (يجب أن نفقد الشبان المسلمين الذين يتلقون علومهم في الغرب صلتهم الثقافية والروحية بوطنهم، ولا يستطيعون الانتماء في نفس الوقت إلى البلد الذي منحهم ثقافته فيتأرجحون في الوسط ممزقين)[٣٧].

## المطلب الثاني: وسائل العولمة

سعت العولمة في بسط نفوذها وفرض سياستها الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية في أغلب الدول، ولعل من أهم الوسائل التي مهدت لها الطريق وساعدتها على تحقيق ذلك ما يلي[٣٨]:

**١- صندوق النقد الدولي:** فقد أسهم هذا الصندوق الذي تأسس عام ١٩٤٥م بموجب اتفاقية "بريتون وودز" في دعم اتجاهات العولمة، والانخراط في تيار عولمة الاقتصاد العالمي من خلال وظائفه التي

التغريب والعولمة (دراسة ثقافية مقارنة) ـــــــ

التغريب والعولمة (دراسة ثقافية مقارنة) ـــــــ

٤- أن ظاهرة التغريب أصبحت ضيقة ومحدودة بشكل نسبي؛ فبعد الحرب العالمية الثانية شهد العالم تطورا سريعا في وسائل الإعلام وأجهزة الاتصال مما أدى إلى إحداث تغييرات ثقافية واجتماعية واسعة وسريعة متجهة نحو نظام عالمي جديد، ولم يعد التغريب يتسع لاستيعاب تلك التغيرات مما أدى إلى ظهور حركة جديدة حلت محله وهي العولمة.

٥- تعد العولمة مرحلة جديدة ومتطورة من مراحل الرأسمالية؛ تعتمد على عاملي السرعة والكثافة في تدفق السلع والخدمات والمعلومات بين الأمم.

٦- يتفق التغريب مع العولمة في محاولة فرض الهيمنة والسيطرة وتعميق التبعية بالقوة وليسا مجرد عمليات تبادلية متكافئة خاضعة للاختيار.

٧- يشترك التغريب مع العولمة في الهدف الأساس الذي يسعى كل منهما إليه وهو فرض الهيمنة وتعميق التبعية، ومحاولة إعادة صياغة ثقافة الدول المستهدَفة في ظل ثقافة الدول المستهدِفة والعمل على دمجها وطمس معالمها.

٨- التغريب انطلق من المجال الثقافي والاجتماعي لذلك يطلق عليه أحيانا مصطلح (التغير الثقافي) بينما العولمة انطلقت من المجال الاقتصادي ثم امتدت إلى بقية المجالات الأخرى.

٩- الحملات التغريبية كانت تقف وراءها الدول الأوربية منذ القرن السابع عشر الميلادي تقريبا وحتى الحرب العالمية الثانية، ثم بعدها تحولت الزعامة ومحاولة الهيمنة والسيطرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

١٠- التغريب ظاهرة كلاسيكية قديمة تكاملت عناصرها وتجلت آثارها وتحددت أبعادها وأهدافها، بينما العولمة عملية ديناميكية متغيرة بشكل مستمر لا زالت تنمو وتتطور وتدخل فيها عناصر جديدة.

١١- التغريب كان في ظل وجود الدولة القومية والمؤسسات السياسية، بينما العولمة تدعو إلى العمل في ظل دولة بدون حدود وطنية أو قومية.

١٢- التغريب هو اختراق للهوية بواسطة الحملات العسكرية، بينما العولمة هي اختراق للهوية بواسطة الوسائل التكنولوجية الحديثة.

١٣- هناك شبه اتفاق من الباحثين والكتّاب على أن التغريب ظاهرة سلبية تعكس أضرارا كبيرة على المجتمعات الإسلامية والثقافة المحلية، بينما العولمة ظاهرة اختلفت حولها وجهات نظر الباحثين؛ فهناك من يثني عليها ويعدها شيئا إيجابيا يصب في صالح الشعوب والدول، وهناك من يذمها ويعدها شيئا سلبيا ضد مصالح الشعوب والدول.

١٤- وسائل التغريب تحتاج نسبيا إلى زمن طويل كي تعمل عملها وتظهر آثارها بينما وسائل العولمة تؤدي بشكل متسارع إلى إحداث تأثيرات وظهور تغييرات.

١٥- وسائل التغريب لا تكاد تباشر في الأغلب إلا فئات معينة في المجتمع كالمثقفين والمفكرين وأصحاب المراكز فإذا ما تم تغريبهم عملوا بدورهم على تغريب بقية المجتمع، بينما وسائل العولمة ولا سيما التقنية والإعلام لا تكاد تنفك عن جميع أفراد المجتمع، مما يترتب عليه عولمة جميع الأفراد بشكل مباشر دون الحاجة إلى سائط.

**ثانياً: التوصيات:**

١- العمل على نشر الثقافة الإسلامية واستعادة الوعي بضرورة التمسك بالهوية الأصيلة لتحصين العقل المسلم من الاستلاب الفكري الناتج عن التغريب والعولمة وغيرهما من التحديات الفكرية التي تواجهها الأمة الإسلامية.

٢- إجراء المزيد من البحوث والدراسات العلمية الثقافية التي تبين حقيقة تلك التيارات المعادية وإبراز مخططاتها وسبل مواجهتها؛ حماية للإسلام وذودا عن حياضه.

٣- الاهتمام بالدراسات المقارنة التي تكشف عن الاختلافات الدقيقة بين المصطلحات المتداخلة أو المتشابهة.

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

**هوامش البحث:**

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، اعتنى به أمين عبد الوهاب وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ، (ج١٠/ ٣١-٣٤)، والقاموس المحيط، الفيروز أبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ، ص١٤٦-١٤٧.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٩٧١م، (ج٧/٥١)

(٣) انظر: المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢٩، ١٩٩٥م، ص١٠٥٦.

(٤) أهداف التغريب في العالم الإسلامي، أنور الجندي، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية، مصر، ص٣.

(٥) انظر: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٨م، ص١٣.

(٦) الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، دار الرسالة، مكة المكرمة، ط٩، ١٤١٣هـ، ص٤٦.

(٧) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط٢، ١٤٠٩هـ، ص١٤٥.

(٨) رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم، السيد محمد الشاهد، دار المنتخب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤، ص١٥١

(٩) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ، ص٩٥

(١٠) أضواء على الثقافة الإسلامية، ناديه شريف العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤٢٥هـ، ص٢٢٦.

(١١) التغريب طوفان الغرب، أحمد عبدالوهاب، مكتبة التراث الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ، ص١٤.

(١٢) انظر: المورد، ص٣٩٠.

(١٣) انظر: آليات العولمة الاقتصادية، هيفاء التكريتي، دار الحامد، الأردن،٢٠٠٩م، ص٢٨.

(١٤) الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، كتب عربية، ص٣٠٦.

(١٥) المرجع السابق، ص٣٠٧.

(١٦) إسماعيل صبري عبدالله (١٩٢٥-٢٠٠٦م)، واحد من أهم رواد الاقتصاد في مصر، يعد رائد مدرسة التفكير الاقتصادي. من مؤلفاته: حتمية الحل الاشتراكي، والتنمية في عالم متغير. انظر: موسوعة ويكيبديا https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%B3%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D9%84_%D8%B5%D8%A8%D8%B1%D9%8A_%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87

(١٧) نقلا عن ما العولمة؟، حسن حنفي وصادق جلال العظم، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ، ص٨٠.

(١٨) صادق جلال العظم، ولد في دمشق سنة ١٩٣٤م. أرستقراطي، ماركسي، فلسفي، أدبي، انتقادي، تنقل في كتاباته بين الأدب والسياسة والفلسفة ولكن كتاباته في النقد الدِّيني كان لها النصيب الأكبر، وكان متّكأه العقل الحر. انظر: موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، خليل أحمد خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، (ج٢/٨٣١-٨٣٢، ٨٣٤).

(١٩) ما العولمة؟، ص١٠٧، ص١٤٩-١٥٠.

(٢٠) المرجع السابق، ص١٣٦.

(٢١) حسن حنفي. ولد في القاهرة عام ١٩٣٥م. يساري، فلسفي، منظر للثورة في التراث ثم في الثقافة بقصد التجديد النهضوي، أطلق مشروعه التنويري داخل الثقافة العربية منذ السبعينيات سنة ١٩٧٦م، له العديد من المؤلفات منها: في فكرنا المعاصر، تربية الجنس البشري، وأبرز أعماله مشروعه التراث والتجديد. انظر: موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، (ج١/٣٦٢)

(٢٢) ما العولمة؟، ص٢٣.

(٢٣) محمد عابد الجابري، ولد في المغرب سنة ١٩٣٦م، فيلسوف، وناقد عقلاني عربي، حصل على الدكتوراه في الفلسفة، وله العديد من المؤلفات منها: تكوين العقل العربي، بنية العقل العربي، العقل السياسي العربي. انظر: موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين (ج١/ص٢٢١-٢٢٣).

التغريب والعولمة (دراسة ثقافية مقارنة) ـــــــ

التغريب والعولمة (دراسة ثقافية مقارنة) ـــــــ

التغريب والعولمة (دراسة ثقافية مقارنة) ـــــــ